

## إنجي أفلاطون فنانة الكائن الهش المأخوذة بكوجيتو ديكارت

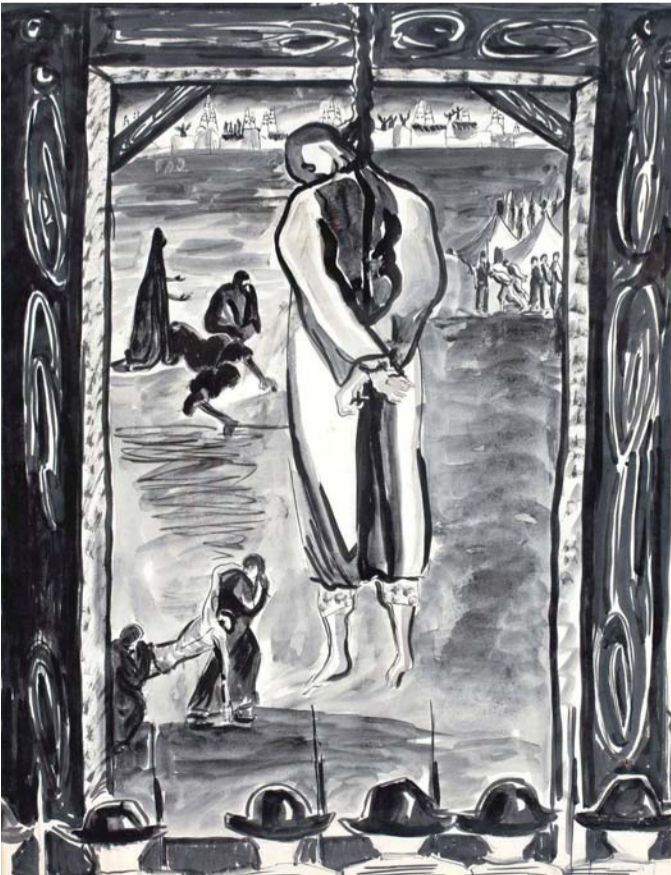
الفنان هو من يستطيع أن يلتقط بالرسم شخصا يسقط من الدور السادس



النساء قضية فنية



«أحلام المعتقلة»، 1961



أعمال تلامس الفكر والوجود

في الـ16 من أبريل ولدت وفي الـ17 من أبريل رحلت، ما بينهما خمسة وستون عاما من عمر الفنانة المصرية الراحلة إنجي أفلاطون، التي تعتبر من أهم الفنانات العرب، ومن أبرز التجارب التي رسخت منجزها خالدا في المدونة الفنية العربية والعالمية. ويحتفي بالفنانة لا فقط من ناحية تجربتها الجمالية وإنما كذلك من باب أنها كانت تؤمن بأن الفن فكر، وكرست جل أعمالها للفكر والفلسفة والانتصار إلى المهمشين سعيا إلى التحرر، وخاصة في ما يتعلق بالمرأة، حيث كانت من النسويات الرائدات، فكيف نجحت أفلاطون في المزج بين الفن والفكر؟

دون فخر، وأيضا دون تواضع، أن التمرد كان السمة التي لازمت حياتي.

وهذا التمرد سيطبع سمات أعمال أفلاطون الصباغية التي تنتصر للفرد في هشاشته الباطنية في أقصى حالاتها، بما فيها تجربة الانعزال والعزلة والسجن التي تعرضت لها في مرحلة من حياتها. وقد أخذها تمرد هذا إلى الثورة على التعليم الأكاديمي للفن، إذ رأت بكون الفن يحتاج حرية كبرى من لدن الفنان للتعبير عما يخالجه، وعما يعتريه من أفكار بينما الفن الأكاديمي يجعل الأعمال، في نظرها، خالية من أي إحساس.

إلى جانب شغفها الفني وإبداعاتها الصباغية، أمنت إنجي أفلاطون بالعمل الميداني من أجل الدفاع عن حقوق النساء والمستضعفين، وهو ما تلمسه في كل أعمالها الفنية.

وقد قادها تعلقها منذ الطفولة بالرسم، بعدما أنهت دراستها بالثانوية الفرنسية القلب المقدس الداخلية، إلى الالتحاق بكلية الفنون في جامعة القاهرة، في بدايات الأربعينات من القرن الماضي، مع أولى النساء اللواتي سيلجن في مصر والعالم العربي مجال الألوان والصباغة. لكنها سوف تتأثر في مرحلة تعلمها للفن بمعلميها الرسم كامل التلمساني (1917 - 1972)، الذي عرف بأعماله الفنية ذات الصبغة الاحتجاجية والساخرة من الأعراف الاجتماعية في وقته.

وهو الطابع الذي سستل، بشكل كبير، مخلصه له، مع اهتمامها المتزايد بالمشق الوجودي والفرداني، بالخصوص تلك الحالات النسائية المنعزلة والمستضعفة والمسجونة خلف قضبان الواقع والأعراف والأفكار المتداولة، التي تحد من حريتها كما رأتها أفلاطون.

وهذا ما تلمسه في أحد أشهر أعمالها الصباغية المعنونة بـ«أحلام المعتقلة»، 1961، حيث تبدو شخصية اللوحة شاردة تنظر بحسرة إلى النافذة التي تحدها عن الخارج قضبان حديدية، شبيهة بقضبان السجن العصية على الكسر، والتي مرت منها إنجي في فترة مهمة من حياتها، تركت آثارها عليها بشكل واضح.

قادت دروس كامل التلمساني الفنانة إلى اعتناق الفن بقوة ومن ثم فتحت لها هذه العلاقة إمكانية الالتحاق بدائرة المثقفين المصريين آنذاك، على رأسهم الشاعر السريالي جورج حنين (1914 - 1973) لتتعرف على مجموعة الفنانين السرياليين المعروفة بـ«الفن والحرية» التي أسسها حنين في العام 1939، وكان من بين

إن «الحقيقة في الفن».

إن الفن امتداد لنسج العالم، كما يقول ميرلو بونتي. من هذا المنطلق ستنبع الرؤية الفنية والوجودية والإنسانية، أيضا، للفنانة التشكيلية المصرية إنجي أفلاطون (1924 - 1989)، التي سعت أن تنتج أعمالا تلامس الفكر والوجود، في تقاطع مع فلسفة ديكارت، وأن تعبر عن الإنساني باستحضار الجانب المستضعف والرهيف فيه، وتتحاز إلى الضعفاء والمهمشين والمستضعفين. لتعمل بالتالي، على فن يفكر، فن غير منغل عن التفكير الوجودي والإنساني.

## الكوجيتو والتمرد

تبدأ أعمال إنجي أفلاطون إذن، من فعل التفكير والتفكير في الذات لتنتهي عندهما، وهي المؤمنة بالكوجيتو الديكارتية «أنا أفكر إذن أنا موجود» ومن هذه الأنا الداخلية الرامية إلى الإفصاح عن وجودها كانت حياة هذه الفنانة عبارة عن «تمرد»، إذ تقول في مذكراتها «ومن هنا أستطيع أن أقرر

هؤلاء الفنانين الذين شاركوا أفلاطون شغفها كل من الفنانين فؤاد كامل ورمسيس يونان ومحمود سعيد. وهو الأمر الذي جعلها تخرج أفكارها إلى العلن، وتمرد على وسطها الأستقراطي ودافعا عن قضايا من أتهم مستضعفين ومهمشين، خاصة النساء منهم.

هذا الشغف والاهتمام بالفن والثقافة قادها إلى نشر العديد من الكتب، بما فيها «80 مليون امرأة معنا» و«نحن النساء المصريات» في عامي 1948 و1949 على التوالي. وأما تعلقها بالفن السريالي فسجلها ترجم الأحلام والكوابيس بطريقة حكاية كسا هو واضح في ثلاثيتها الشهيرة «الوحش الطائر» 1941، و«الحديقة السوداء» 1942، و«انتقام شجرة» 1943، وهي من أشهر لوحاتها السريالية.

ولم يقتصر اهتمام أفلاطون بالفن والرسم فحسب، بل تعلقت بقراءة الكتب في التاريخ والاجتماع والفلسفة والاقتصاد والأدب والموسيقى، ما جعلها تصقل موهبتها فكريا وتكون رؤية خاصة نحو العالم والذات البشرية التي اهتمت بقوة بالتعبير عنها صباغيا. هذا، إلى جانب شغفها بالسفر والترحال، إذ سافرت في منتصف الخمسينات من القرن الماضي إلى صعيد مصر، النوبة والواحات... لتستلهم العديد من مشاهد الحياة اليومية في الريف، حياة الكادحين المصريين وبالخصوص النساء منهم، ما أغنى تجربتها الفنية، بين ما هو واقعي وما هو سريالي وتعبيري؛ في بحث دائم عن أسلوبها الخاص.

## تجربة إنجي أفلاطون شكلت تجربة أساسية في تاريخ الفن التشكيلي العربي، وخاصة في بدايته الحداثية الأولى

وعلى إثر مسيرتها تلك تحصلت سنة 1985 على وسام «فارس للفنون والآداب» من وزارة الثقافة الفرنسية. لتترك بعد رحيلها أعمالا تشهد على فنيته وشغفها وحسها الإبداعي المتمرد على كل القيم الأكاديمية التي كانت سائدة حينها، من أجل التعبير بحرية عن معاناة المرأة وتجسيد الحالات الهشة للكائن البشري وهو يعبر هذه الحياة بكل معاناتها وقسوتها وفرحها وسعادتها. ما جعلنا نلقبها بـ«فنانة المرأة والكائن الهش»، بكل ما تحمله هذه الكلمات من دلالات ومعان فلسفية واجتماعية عميقة.

## عز الدين بوركة

شاعر وباحث جمالي مغربي



لا ينفصل الإشتغال في الجماليات والإبداع عن الفكر الفلسفي، وكل عمل لا يقوم على فكر هو عمل ناقص وانفعال لا تحظى جمالياته بفرصة للاستمرار أبعد من لحظتها.

وإيمانا بوحد الفن والفكر انطلقت منذ مطلع القرن الماضي في مصر جماعة السريالية التي ناضلت بقوة ضد الفوارق الطبقيّة والمغالطة التاريخية وضد كل التلبيقات وكل التوريث، وفتحت ابوابا جديدة أمام الفن ليلتحم ببيئته ويخرج من برود الصالونات، ولعل أبرز التجارب التي ضمت صوتها لهؤلاء ولكنها كرس عملها الفني بأسلوب مختلف، المصرية إنجي أفلاطون.

## فن يفكر

لا يمكن عزل الفعل الفني عن فعل التفكير أو التفلسف في المعنى الأعمق، ففلا الفعليين، أو لنقل الممارستين (الفن والفكر)، يسعيان إلى التعبير بطريقة خاصة عن الوجود والواقع والإنسان والعالم، والإجابة عن الأسئلة الفكرية الكبرى، التي تؤرق مضجعة الفرد المتأمل والمشغول بأسئلة الوجود.

## جل أعمال الفنانة تجسيد لحالات السقوط في الانعزال والسجن في الضعف والقهر الاجتماعي وفي قعر الذات المظلمة

نجزم بأن الفن أحداث مثلي للتفكير، إن لم يكن الفن في حد ذاته مفكرا (art qui pense). لهذا لم يتوان فلاسفة مثل شوبنهاور ونيشيه وهايدغر وأرتور دانتو ونيلسون غودمان وديدا وميرلو بونتي ورجيس دوبري، وأدباء مثل أوسكار ويلد وشارل بودليير وإميل زولا وبوليفير وجان كوكتو وآنثونيان أرتو، عن الاهتمام بالفن وجعله منطلقا لصياغة رؤاهم وتفسير أفكارهم والتعبير عن مواقفهم تجاه العالم والوجود.

لهذا سيذهب نيتشه حد اعتبار الفن هو الوسيلة الفضلى لفهم أطروحاته «إرادة القوة»، وسيعتبر شوبنهاور بأن الفن هو خلاصنا من الشقاء، بينما سيحتد كل من هايدغر وديدا في القول إن «الحقيقة في الفن».

إن الفن امتداد لنسج العالم، كما يقول ميرلو بونتي. من هذا المنطلق ستنبع الرؤية الفنية والوجودية والإنسانية، أيضا، للفنانة التشكيلية المصرية إنجي أفلاطون (1924 - 1989)، التي سعت أن تنتج أعمالا تلامس الفكر والوجود، في تقاطع مع فلسفة ديكارت، وأن تعبر عن الإنساني باستحضار الجانب المستضعف والرهيف فيه، وتتحاز إلى الضعفاء والمهمشين والمستضعفين. لتعمل بالتالي، على فن يفكر، فن غير منغل عن التفكير الوجودي والإنساني.